

الوافي في الوفيات

أنظر إلى شجر الحيلاف مشتعلًا ... لمن يراه على بعد كنيران .
في حال حمرتها من قبل خضرتها ... تخال أغصانها قضبان مرجان .
ومنه في البان : من الكامل .
بان لك البانات فاشرب فوقها ... صفراء تؤذن بالمسرة والسخا .
وتلبست زغب الحمام كأنما ... باض الربيع على الغصون وفرخا .
آخر الجزء الحادي والعشرون من كتاب الوافي بالوفيات يتلوه إن شاء الله تعالى علي بن محمد بن رستم بن هردوز بهاء الدين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

الجزء الثاني والعشرين .
بسم الله الرحمن الرحيم .
ربِّ أَهْنِ .
ابن الساعاتي .

علي بن محمد بن رستم بن هَرْدُوز بهاء الدين أبو الحسن الشاعر ابن الساعاتي صاحب الديوان المشهور . ولد بدمشق سنة ثلاث وخمسين وخمسة مائة وتوفي سنة أربع وست مائة . وكان أبوه يعمل الساعات بدمشق فبرع هو في الشعر ومدح الملوك وتعانى الجندية وسكن مصر وروى شعره جماعة منهم القوسي وغيره . وهو أخو الطبيب العلامة فخر الدين رضوان طبيب الملك المعظم وقد تقدّم ذكره في حرف الرّاء .

وحكي أنّ بهاء الدين المذكور كان مليح الصورة ظريفاً وأنه كان ممّناً يتعشّق به أربعون شاعراً وأنه كان إذا نظم القصيدة ألقاها بينهم فينقّحها الجميع له فلذلك جاد شعره . وديوانه كبير ثلاث مجلدات كبار . وهو عند أكثر الناس أنه شاعر عظيم وأنا ما أراه يداني ابن النّسيب وإن كان ابن الساعاتي قادراً مكثّراً طويلاً النّفس . وقيل أنه قال يوماً - وهو في حديثه - ابن منقذ : أجيء وأحدثكم ؛ فقال له ابن الساعاتي : مُرّ - ويكّ . وكلاهما أراد التصحيف ؛ قال ابن منقذ : أخي واحد بكم ؛ فقال ابن الساعاتي : مُرّوا تكّ . وهذا لطف منه . نقلت من خط القوسي في معجمه قال : أنشدني لنفسه :

قم يا نديم إلى مباشرة الوغى ... فالحرب قائمة ونحن هجود .
واللّيل قد أودى وقهقه عندنا ... الإبريق من طربٍ وناح العود .
ولئن زعمت بأنّ ذلك باطل ... فلنا عليه أدلّة وشهود .

القطرُ نَبِيلُ والغدير سوابغُ ... والبرق بَرِيضٌ والغمام بنودُ .

وقال القوسي : أنشدني لنفسه :

ومواقفٍ بالنَّيِّرِ بَرِيئِنِ شَهِدْتُهَا ... والعيشُ غَصٌّ والزمانُ غلامُ .

جَمَدَ المُدَامِ بَهَنٌ فهو فواكهُ ... تُجْنى وذاب التبر فهو مُدَامُ .

مخطوبةٌ جُلِيتِ فَنَقَّطَها الحيا ... بعقود دُرٍّ خانهنَّ نظامُ .

والدَّوْحُ يرقص والبروق بجوِّها ... مثل الصَّوَّارمِ بالرقابِ تُشَامُ .

سَفَرَتِ فَنرجسُها المضاعفُ أَعْيُنُ ... والوردُ خَدٌّ والقضيبُ قوامُ .

وقال : أنشدني لنفسه في سِوَاءِ أَحَبِّها :

زعموا أَنَّنِي بجهلي تعشَّقُ ... تُكِّ سِوَاءَ دُونِ بَرِيضِ الغواني .

ليس معنى الجمال فيكِ بخافٍ ... إِنَّمَا أَنْتِ خالُ خَدِّ الزَّمانِ .

وقال : أنشدني لنفسه :

لا تعجينَّ لَطالِبِ بَلْغِ المني ... كهلاً وأخفق في الشَّبابِ المقبلِ .

فالخمرُ تحكُمُ في العقولِ مسدَّةٌ ... وتُداسُ أَوَّلَ عَصْرِها بالأرجلِ .

وقال : أنشدني لنفسه يشبِّه الباذنجان :

يا مُهْدِيَّ الأَبْدانِ أَهلاً بما ... أَهديتَ إِذْ كُنْتَ لَنَا مُنْذِعِما .

شِبِّهَتْهُ لَمَّا تَأَمَّلْتُهُ ... ولم أَكن في مثله مُعْذِما .

أَقْماعَ كَرِيمِ خَتِ على أُكْرَةٍ ... من أَدَمٍ قد حُشِيَتْ سَمْسِما .

وقال ابن الساعاتي :

ولقد نزلتُ بروضةَ حَزَنٍ نَيْسَةٍ ... رتعت نواظرنا بها والأَ نفسُ .

فظللتُ أَعْجَبُ حيثُ يحلفُ صاحبي ... والمسكُ من حافاتِها يتنفَّسُ .

ما الجِوُّ إِلاَّ عَنبرٌ والدَّوْحُ إِ ... لاسَّ جِوهرُ والأَرْضُ إِلاَّ سُنْدُسُ .

سَفرَتْ شقائقها فهمَّ الأُقْحوا ... ن بلثمها فرنا إِليه النرجسُ .

فكأَنَّ ذَا خَدِّ ذَا ثَغْرِ يَحا ... وله ذَا أَبداءِ عيونِ تحرسُ .

وقال أيضاً :

أَما ترى البدرَ يجلوه الغدير وقد ... حفَّاتِ به قُضْبُبالنَّوَرِ في لُثْمِ